Journal Of the Iraqia University (76-9) October (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

سرديات العنف في رواية "داما" لمحمد صادق

أ.د. يحيى معروف (الكاتب المسؤول)
y.marof@yahoo.com
سامر عبدالله خلف طالب في مرحلة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمنشاه.
07708567677as@gmail.com
جامعة الرازي -كرمانشاه كلية الآداب والعلوم الأنسانية قسم اللغة العربية وآدابها

Narratives of Violence in Muhammad Sadiq's Novel "Dama"

Samer Abdullah Khalaf

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة سرديات العنف في رواية "داما" للروائي المصري محمد صادق، بوصفها نصاً روائياً يكشف عن أنماط متعددة من العنف الممارس ضد المرأة في المجتمع المصري المعاصر. تهدف الدراسة إلى الكشف عن الكيفية التي وظف بها الكاتب العناصر السردية والرمزية لتجسيد واقع مجتمعي متآكل، تعاني فيه الشخصية الأنثوية من أنظمة قمعية متعددة تمارس ضدها أشكالاً متنوعة من العنف النفسي والجسدي والاجتماعي، مما يؤدي إلى تشظي الهوية وفقدان الذات. اعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي لاستنطاق الأنساق المضمرة في النص، وقسمت الدراسة إلى مبحثين رئيسين؛ تناول الأول "سرديات العنف المؤسسي"، مع التركيز على آليات العنف الأسري والمجتمعي التي تحاصر البطلة، بما في ذلك العنف الأبوي، والعنف الزوجي، والعنف المجتمعي المتمثل في وصمة الطلاق. بينما ركز المبحث الثاني على "سرديات العنف النفسي"، مبيناً كيف تحولت العلاقات الإنسانية إلى أدوات قمع وإخضاع، وكيف يعيد النص إنتاج خطاب العنف من خلال تقنيات سردية متعددة، مثل السرد بضمير المتكلم، والاسترجاع، وتعدد الأصوات، والتكثيف الرمزي لفضاءات العنف. تخلص الدراسة إلى أن الرواية لا تكتفي بتصوير العنف بوصفه حدثاً طارئاً، بل تغوص في بنيته النفسية والاجتماعية، لتكشف عن أنماطه الخفية التي تمارس يومياً في فضاءات تبدو طبيعية، مثل البيت والعمل والشارع، مؤكدةً أن العنف في الرواية ليس مجرد أداة درامية، بل هو منظومة معرفية وأيديولوجية تعيد إنتاج التراتبية الذكورية.

الكلمات المفتاحية: سرديات العنف، محمد صادق، داما، الرواية النسوية، العنف الرمزي، السلطة الذكورية.

Abstract

This research examines the narratives of violence in the novel "Dama" by the Egyptian novelist Muhammad Sadiq, as a narrative text revealing multiple patterns of violence practiced against women in contemporary Egyptian society. The study aims to reveal how the author employs narrative and symbolic elements to embody a deteriorating social reality in which the female character suffers from multiple oppressive systems practicing various forms of psychological, physical, and social violence, leading to identity fragmentation and loss of self. The research adopts a critical analytical approach to explore the implicit patterns within the text and is divided into two main sections. The first section addresses "narratives of institutional violence," focusing on the mechanisms of familial and societal violence that besiege the protagonist, including paternal violence, marital violence, and societal violence represented in the stigma of divorce. The second section focuses on "narratives of psychological violence," demonstrating how human relationships have been transformed into tools of suppression and subjugation, and how the text reproduces the discourse of violence through multiple narrative techniques, such as first-person narration, flashbacks, polyphony, and symbolic intensification of spaces of violence. The study concludes that the novel does not merely depict violence as a transient event but delves into its psychological and social structure, revealing its hidden patterns that are practiced daily in seemingly natural spaces such as home, work, and the street, affirming that violence in the novel is not merely a dramatic tool but a cognitive and ideological system that reproduces masculine hierarchy.

Keywords: Narratives of Violence, Muhammad Sadiq, Dama, Feminist Novel, Symbolic Violence, Masculine Power.

المقدمة

تُعد الرواية، بصفة عامة، مرآةً عاكسةً للواقع الإنساني بكل تعقيداته وتناقضاته، فهي لا تكتفي برصد الحاضر فحسب، بل تتجاوزه إلى استشراف المستقبل، سواء كان ذلك عبر آفاق اليوتوبيا المشرقة أو كوابيس الديستوبيا المظلمة. وفي سياق الأدب العربي المعاصر، اكتسبت الرواية النسوية زخماً ملحوظاً، لتصبح منبراً للتعبير عن القلق الوجودي، والتساؤل عن المصير والمآلات في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية المتسارعة، خصوصاً فيما يتعلق بقضايا المرأة وهيمنة الخطاب الذكوري.تأتي رواية "داما" للروائي المصري محمد صادق لتشكل إضافة نوعية لهذا التيار الأدبي، مقدمةً نموذجاً سردياً فريداً يزاوج بين الواقعي والمتخيل، ويسبر أغوار النفس البشرية في مواجهة الانهيار القيمي والأخلاقي. تدور أحداث الرواية حول البطلة "هيا" التي تعيش في مجتمع يمارس ضدها أشكالاً متعددة من العنف؛ بدءاً من العنف الأسري المتمثل في تحرش عمها بها وتواطؤ أمها، مروراً بالعنف الزوجي الذي مارسه طليقها "خالد"، وانتهاءً بالعنف المجتمعي المتمثل في وصمة الطلاق والنظرة الدونية للمطلقات. هذا التصوير المأساوي للمرأة يضع الرواية في صميم الأدب النسوي النقدي، الذي يهدف إلى كشف الجوانب المظلمة للمجتمع، وتسليط الضوء على الروابط الاجتماعية التي تتآكل في ظل أنظمة قمعية أو ظروف كارثية.تتميز الرواية بكونها مرآة نقدية لواقع يفقد إنسانيته، حيث تتجلى فيها سرديات العنف عبر عدة أنساق مضمرة، منها نسق العنف الأبوي المتمثل في تواطؤ الأم والأخ مع نظام القمع الذكوري، ونسق العنف الزوجي الذي تمارسه سلطة الزوج على جسد الزوجة وحريتها، ونسق العنف المجتمعي المتمثل في وصمة الطلاق والتفكك الأسري. كما تبرز الرواية صراعاً أبدياً بين الخير والشر، وتوظف نسق تشويه الهوية من خلال سلب البطلة حقوقها في حضانة ابنتها، مما يحولها إلى ضحية تبحث عن انتقامها من خلال شخصيتها البديلة "داما". وتتعمق الرواية في البعد النفسي والاجتماعي، مستعينةً بتقنيات سردية مثل السرد بضمير المتكلم، والاسترجاع، وتعدد الأصوات، لتقديم رؤية نقدية للعنف بوصفه منظومة معرفية وأيديولوجية.انطلاقاً من هذه المعطيات، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن سرديات العنف في رواية "داما" لمحمد صادق، وتحليل كيفية صياغة الكاتب لهذه الملامح عبر بنيتها السردية والفنية. وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن تساؤلات رئيسة، أهمها: ما هي أبرز أنماط العنف في هذه الرواية؟ وكيف وظف الكاتب العناصر السردية والرمزية لتجسيد هذه التمثلات؟ وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تخرج في مبحثين رئيسين تسبقهما مقدمة، وتعقبهما خاتمة تتضمن أبرز النتائج والتوصيات، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

تمهيد: مفهوم العنف وتمثلاته في الرواية النسوية

يقف مفهوم العنف في مكانة خاصة بين الدراسات النقدية المعاصرة، لا لأنه يصف ممارسات إنسانية عنيفة فحسب، بل لأنه يفعل ذلك بوعي نقدي مضمر يجعل من الأدب سلاحاً في مواجهة الواقع. وما يميز هذا الحقل النقدي أنه لا يهرب من الحقيقة بل يواجهها مُقنعةً بالتخييل، محولاً القبح الاجتماعي والسياسي إلى مادة جمالية تُعري المسكوت عنه وتُضيء ما تُخفيه السلطة.وللوقوف على أصول هذا المفهوم، لا بدّ من العودة إلى جذره اللغوي الذي يحمل في طياته دلالةً مكثفة؛ فكلمة العنف "تعني في معاجم اللغة: الشدة والقسوة، وهو خلاف الرفق، وقد عرفه علماء الاجتماع بأنه 'كل فعل أو قول أو إشارة تؤدي إلى إيذاء الآخرين نفسياً أو جسدياً أو مادياً'" (البكري، ٢٠٢٠، ١٥). وهذا التقابل بين العنف المادي والعنف الرمزي ليس مجرد لعبة لغوية، بل هو محرك فلسفي يكشف كيف أن الممارسات الاجتماعية التي تبدو طبيعية قد تكون في جوهرها عنيفة، وكأن الطريق إلى السيطرة على الآخر لا يمر إلا عبر أشكال متعددة من الإخضاع.ولعل أبرز ما يميز الدراسات النقدية المعاصرة أنها لا تكتفي بتصوير العنف، بل تضعه في سياق فكري وأيديولوجي محدد، إذ يتمحور حول "تأكيد غياب إنسانية الإنسان وانتشار الخطابات المعزولة عن الجماهير، وتفشي الفساد وهيمنة القمع السياسي، ووأد الحريات وانتهاك الخصوصيات، وغير ذلك مما تفرزه الأنظمة السلطوية" (أبو طالب وآخرون، ٢٠٢٥، ٣٣٢). وهذا التشخيص يكشف أن العنف ليس وليد مخيلة متشائمة عبثاً، بل هو استجابة أدبية لمنظومة اقتصادية وسياسية تُعيد إنتاج الظلم بأشكال أكثر تطوراً وأعمق إيلاماً.وفي هذا الفضاء السردي، تتراكم ملامح العنف لتُشكّل حبكةً يسودها "الخراب والخوف والفقر والقهر والظلم"، في مجتمع "يرى فيه الكاتب مجتمعاً خيالياً فاسداً ومخيفاً يسوده الفوضى ويحكمه الشر المطلق"، ويُوظَّف هذا كلّه "لتسليط الضوء على القضايا الموجودة في العالم الواقعي المتعلقة بالمجتمع والسياسة والدين والسلطة والاقتصاد" (شقير، ٢٠٢٠، ١٦٠). وما يستوقف الناقد هنا هو تلك الازدواجية الجوهرية في بنية هذا الأدب: فهو يصف عالماً خيالياً بينما يستهدف واقعاً حقيقياً، ويستحضر المستقبل بينما يُشخّص الحاضر، مما يجعله من أكثر الأجناس الأدبية التصاقاً بالراهن.بيد أن الرواية النسوية المعاصرة لا تكتفي بالتشخيص، بل تمضي نحو التشريح؛ فهي "تبني مآسيها على الواقع لتشريحه ونقده بغية ألا ننفصل عن تبعات المأساة المتخيلة" (عبد الحميد، ٢٠٢٥، ٢٥). وهذه الوظيفة التشريحية هي ما يمنح الرواية النسوية شرعيتها النقدية، ويُفرّق

بينها وبين أدب الرعب أو الكوارث؛ فالرواية النسوية لا تخيف لتُمتّع، بل تُخيف لتُنبه، ولا تصف الانهيار لتُبرّره، بل لتُحرّض على مقاومته.وقد جاء الفضاء الزمني لهذا الأدب ليُعزّز هذه الوظيفة النقدية، إذ يستقر في "الحاضر التأملي، يتميز بالتجرد من الإنسانية، وسيطرة الأنظمة الذكورية، مجتمع يعاني من الفقر والتلوث والانهيار المجتمعي والقمع السياسي" (خيرة ومصطفى، ٢٠٢٣، ٣٤٢). واللافت أن هذا الحاضر التأملي ليس هرباً من الواقع، بل هو الواقع ذاته مُكثَّفاً ومُجرَّداً من أقنعته، وكأن الكاتب النسوي يسرق الزمن القادم ليُواجه به القارئ بما يتغافل عنه في يومه الراهن. ويتقاطع مع هذا الطرح ما يُقدّمه الباحثون حين يُؤكدون أن هذا الأدب يسعى إلى "تسليط الضوء على القضايا الموجودة في العالم الواقعي المتعلقة بالمجتمع والبيئة والسياسة والدين وعلم النفس والقيم الروحية أو التكنولوجيا، التي قد تصبح الحاضر في المستقبل" (العوكلي، ٢٠١٩)وإذا كانت "الرؤية النقدية تستخدم في بيئة واقعية سيئة، وتكون اتجاهاتها وغاياتها متشائمة ورهيبة" (بن الشيخ، ٢٠١٨، ٦٥)، فإن هذا التشاؤم لا ينبغي أن يُقرأ قراءة سطحية بوصفه استسلاماً للعدمية؛ إذ إن الكاتب الذي يرسم عالماً قاتماً بهذه الدرجة إنما يُضمّن كتابته أملاً مستتراً في أن يكون ما يصفه حافزاً للتغيير لا نبوءةً قدرية. وهنا تكمن المفارقة الجمالية الكبرى في هذا الأدب: فكلما اشتدت قتامة العالم المرسوم، كلما تصاعدت الدعوة الضمنية إلى نقيضه.وفيما يخص الجذور التاريخية لهذا الأدب، فقد "بدأ الكتّاب والروائيون يُعبّرون عن المدينة المنهارة التي تتمثل في القبح الاستعماري، واستبداد الأنظمة والنظرة السلطوية السائدة في المجتمع" (برجكاني، ٢٠١٨، ١٣٦)، وتحول الفن إلى مقاومة من نوع خاص، لا تحمل السلاح بل الكلمة.وقد تجلى ذلك أوضح ما يكون في تجربة الأديبات العربيات المعاصرات اللواتي "تنهض أعمالهن على تشغيل طاقة الفانتازيا بكثافة، وتخييل سردي منفتح إلى أقصى مدى" (أبو طالب وآخرون، ٢٠٢٥، ٣٣٢)، بدلاً من الاتكاء على فرضيات الخيال العلمي. وهذا الاختيار الجمالي ليس عفوياً، بل يعكس عمق الموروث الحكائي العربي وقدرته على استيعاب الرؤى النقدية وتحويلها إلى سرد فانتازي ذي طاقة رمزية عالية.وعلى امتداد هذا المشهد، برز أدب العنف "بقوة في العقود الأخيرة، لاسيما في ظل التحولات السياسية والاجتماعية الكبرى التي يشهدها العالم، وصوّر مجتمعات محلية تعاني من الظلم والقمع والتفكيك والانهيار" (بن خير الدين وبن عسكر، ٢٠٢٤، ٢١)، لتغدو الرواية النسوية شاهداً أدبياً على عصر اهتزت فيه اليقينيات وتصدعت فيه البنى الكبرى.وتأسيساً على هذه الرؤى النقدية المتراكبة، تنبثق رواية "داما" للروائي المصري محمد صادق من هذا الفضاء المفاهيمي لتُشكّل تجربة سردية خاصة، تمزج بين شعرية السرد وقسوة العالم المأزوم. ومن ثم تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الآليات الفنية التي وظفها صادق في بناء عالمه السردي، وتتبّع تمثلاتها على مستوى الشخصية والمكان والزمان والرؤية السردية، وصولاً إلى فهم أعمق لما تقوله هذه الرواية عن الإنسان حين تُسلب منه حريته وكرامته وحقه في الحلم.

المبحث الأول: سرديات العنف المؤسسي

يتخذ الفضاء السردي في رواية "داما" لمحمد صادق شكلاً هندسياً معقداً يعيد إنتاج القهر الاجتماعي من خلال مؤسسات متعددة، حيث لا تغدو الأسرة والمجتمع مجرد خلفيات سردية، بل هي تمثل صارخ لمركزية السلطة الذكورية التي تمارس إقصاءً ممنهجاً ضد الأنثى. إن هذه التراتبية المؤسسية تعكس بنية اجتماعية مفخخة تقوم على عزل الفئات المنبوذة، مما يولد حالة من الاغتراب الوجودي؛ حيث يصبح الأفراد "يعيشون في خوف وانعدام للإنسانية، وشاغلهم الشاغل هو البقاء، ويخشون العالم الخارجي" (إنجي خالد أحمد، اليوتوبيا والديستوبيا في رواية أحمد خالد توفيق، دار العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤، ص٢٠٤).وتتجلى أيضاً مادية العنف في الرواية من خلال مؤسسة الأسرة التي تحيط بالبطلة، حيث يتحول الحرمان إلى استراتيجية سلطوية للهيمنة، تجعل من الجسد الأنثوي سجناً للهوية المهدورة. إن هذا "الجحيم الأرضي" في رواية صادق لا يتمثل فقط في ضيق العيش، بل في انهيار المنظومة الأخلاقية للمؤسسات التي تروج لأخلاقيات خاطئة، مما يعمق الشرخ بين الفرد والمجتمع، ويجعل من المكان قوة قمعية تشارك في سحق الشخصية واغترابها. وبذلك، تصبح المؤسسات مرآة للخراب الداخلي، حيث يتحول استلاب الذات إلى استلاب للكينونة ذاتها، ويصبح الهروب من هذا العالم هو المسعى الدائم لشخصيات لم تعد تثق في نظام يسلبها أدنى مقومات إنسانيتها.

أولاً: العنف الأسري وتواطؤ المؤسسات

تتأسس سردية العنف في الرواية على انشطار أخلاقي حاد يعكس عمق التراتبية الذكورية، حيث يمثل الأب والأم فضاءً للهيمنة الزائفة، بينما تقبع البطلة في عزلة قسرية تكرس دونية الأنثى. إن هذا التقسيم ليس مجرد توزيع للأدوار، بل هو بنية اجتماعية مصممة بعناية لضمان استمرارية القمع واستلاب حقوق الفئات المهمشة.ومن تمثلات هذا النوع من العنف في رواية "داما": يقول الكاتب على لسان البطلة وهي تسترجع ذكرياتها مع عمها المتحرش: "كان أبي محامياً، بعد فترة ركود طويلة –وقت تدخل عمي– بعد قضية خاسرة، بدأ يعود قليلاً لعمله ويجارب فيه، لكن شجاره مع أمي كان قد كثر بشدة الفترة الأخيرة، وشكه في كل شيء يؤثر على كل تفاصيل حياته... نظرت له بلا مبالاة لأجده يبكي" (صادق، ٢٠٢٦، ص١٨٠). هذا المقطع يكشف آلية الهيمنة الأبوية بأسلوب يُضمر أكثر مما يُصرّح. الأب هنا ليس مجرد شخصية هامشية، بل هو رمز للسلطة الذكورية التي

تتآكل لكنها لا تنهار. بكاء الأب مشهد مفارق: الرجل الذي يفترض أن يكون سنداً للأسرة ينهار، لكن انهياره لا يمنح البطلة حرية، بل يضعها في موقع المسؤولية العاطفية، مما يعمق اغترابها. الجدل المركزي هنا بين الضحية والجلاد يتجلى في ثنائية الاختيار: السلطة الذكورية تملك حق تحديد مصير الأنثى، حتى وهي في أضعف حالاتها. الأسرة عند الراوي ليست كياناً طبيعياً بل بنية يجب أن تُنحت من الأعلى، ومفهوم الحماية ليس رعاية إنسانية بل أداة تنظيم اجتماعي تُبقي الأنثى في موقع التبعية."عمي... ده أخو باباك.. وأنت عارفة باباك صعب يشتغل فعمك بياخد باله علينا.. لو قولتي له ممكن العيلة كلها تضايق ويبقى أنت السبب.. يرضيك؟" (صادق، ٢٠٢٦، ص١١٠). يُمثل هذا النص الروائي بنية الخطاب الأيديولوجي كما يُوظّفها الروائي وعاءً لنقد تواطؤ الأم مع نظام القمع. الصوت هنا يتكلم من موضع المعرفة المطلقة (الأم)، تتوجه إلى ابنتها بضمير المفرد المؤنث، وهو نفس الأسلوب الذي تتكلم به السلطة الذكورية دائماً: تحميل الضحية مسؤولية ما يحدث لها، وتقديم نفسها منقذاً من الفضيحة الأكبر. البنية الثنائية واضحة: التزامك بالصمت مقابل سلامة العائلة. هذا تقسيم لا يعكس أخلاقاً بل جغرافيا اجتماعية. الأنثى هي موضع التهديد، ومصدر الفضيحة المحتملة، والمسؤولة عن تماسك الأسرة. الذكر هو موضع الضبط والقانون، حتى وهو المعتدي. غير أن صادق يقلب هذا المنطق من الداخل: الأم التي تتحدث بلسان الخير والعقل هي ذاتها من يُقيّد صوت ابنتها ويُحكم القبضة. الأسرة المنشطرة هنا ليست مجرد تضاد بين براءة الأنثى وعدوانية الذكر، بل هي انشطار في النظام المعرفي ذاته: من يملك حق تعريف "العار" يملك السيطرة على الجسد الأنثوي. "عمي... أنا كنت في السادسة عشر من العمر وقتها، منذ أن أتتني الدورة وكف هو عن ضربي، وكأنه بدأ يعتبرني أنثى بسبب البويضات فقط، وجدته يفتح باب غرفتي ويجلس على الفراش ويناديني" (صادق، ٢٠٢٦، ص١٨٠). هذا المقطع يمثل لحظة الانكشاف الروائي الكبرى، حيث تتحوّل الأسرة من فضاء عائلي إلى بنية أنطولوجية للعنف. تحول العم من الضرب الجسدي إلى التحرش الجنسي ليس عملاً عابراً بل تأسيس لنوع جديد من العلاقة مع الجسد الأنثوي يُعرف بما يُحدثه به لا بما يفعله له. عبارة "يعتبرني أنثى بسبب البويضات فقط" تستدعي مفهوم الجسد الأنثوي بوصفه موضوعاً للنظر الذكوري، لكن صادق يُضيف إليه طبقة جديدة: الوعي بالجنسانية ليس وعياً بالذات بل وعياً بالآخر وبقدرته على الاستحواذ.البطلة هنا لم تعد مجرد ضحية، بل صارت تلك المنطقة من الجسد الإنساني الذي تعتبره السلطة الذكورية ملكية خاصة. والعنف الحقيقي يكتمل حين تدرك البطلة أن الكارثة لا تأتي من خارج الأسرة بل من داخلها، من العم الذي يفترض أن يكون حامياً، ولا تجد سبيلاً للخروج إلا الصمت المطبق.

ثانياً: العنف الزوجي وسلطة الجسد

يعدّ الجسد في هذه الرواية وحدةً دلاليةً مركزية تتجاوز بعدها البيولوجي لتغدو علامةً على حضور الأنثى أو غيابها، إذ يشتغل محمد صادق على مستويات متعددة من التعبير والإخفاء والتشويه، كاشفاً عن علاقة عضوية بين انهيار الجسد الأنثوي وانهيار الهوية في مجتمع تتقاطع فيه أزمة العنف مع أزمة السلطة. ولا يقتصر هذا العنف على الإيذاء الجسدي المباشر، بل يمتد إلى السيطرة على الجسد عبر الأنظمة القانونية والاجتماعية.يقول الكاتب على لسان البطلة:"طوال العام والنصف أحمل داخلي ما لا أستطيع أن أخبر به طبيب نفسي... حتى أمحي حياتك كلها مقابل السلام في وابنتي" (صادق، ٢٠٢٦، ص٧٤). السر في هذا النص يُقلب وظيفته التقليدية رأساً على عقب. السر في الأعراف السردية مكان العودة إلى الذات والتعرف عليها، لكنه هنا يُنتج الغياب: البطلة تحمل سراً عن طليقها لا تستطيع البوح به، أي أن السر يُعيد تعريف هويتها من الخارج. هذا انهيار في منطق الهوية الذاتية التي صاغها التحليل النفسي: لحظة التعبير عن الذات هي لحظة تكوّن الأنا. هنا تعيش البطلة لحظة نقيضة: تحمل سراً ولا تستطيع التعبير عنه، فتتحول إلى مجرد جسد مطواع لشروط طليقها. جملة "أمحي حياتك كلها مقابل السلام في وابنتي" تحدد الزمن السيميائي للعنف الزوجي: العنف لم يحدث الآن فقط، بل وقع منذ أمد بعيد والبطلة لم تنتبه إليه. الجسد في الرواية إذن ليس شيئاً يُسرق أو يُغتصب في حادثة، بل شيء يتآكل ببطء في مجتمع يُفرغ الأنثى من داخلها. والسلطة هنا بالغة الدلالة: الزوج الذي يملك السلطة الرسمية في الزواج هو أكثر من فقد إنسانيته، ما يعني أن السلطة ذاتها في هذه الرواية مصنوعة من الأشباح.وفي نص آخر: "أنت عارفة إن البنت وجودها في البيت مش خليني براحتي مع (دينا).. بس أعمل إيه بقى؟ أنت بتعدي وراكبة دماغك" (صادق، ٢٠٢٦، ص١٣٠). يُقدم صادق في هذا النص الروائي العنف الزوجي بوصفه مشروعاً مؤسسياً لا فردياً. طليق البطلة لا يقول أنه يريد إيذاءها، بل يقول إن وجودها يعيقه، وهذا اقتراح مثير للريبة: أن تتحول الأنثى إلى عائق في حياة الرجل كحل لوجودها. السيميائية هنا تكشف مناورة خطيرة: من يصفك بأنك عائق يملك السلطة على تعريفك، والرفض ليس أداة مقاومة بل أداة هيمنة ناعمة. الطلاق في الرواية يعمل كحالة سيميائية استثنائية: حين تختفي الحقوق الزوجية وتتراجع العلاقات المادية، تصبح الهوية فقيرة من المرجعيات. طليق البطلة يستغل هذا الفراغ: يقترح أن تعوض غيابها بأن تختفي تماماً. المفارقة التي يبنيها صادق هنا عميقة: العنف الذي يفقد النساء حقوقهن يجعلهم أكثر قابلية للاستبعاد، وهذا هو الانهيار الحقيقي في الرواية: ليس انهيار الجسد بل انهيار الإنسان بين حقه الحقيقي وحقه كما يحدده من يمسك بالسردية. "لما تم الطلاق، كي يضمن (محمد) صمتي التام، تم الاتفاق إن الحضانة هتكون

لأمي، في عقد اتفاق عرفي بيننا بصحة توقيع... قانوناً الحضانة في يدي حتى تتم (كاميليا) الخمسة عشر لكن ببرنجيسية طليقي اشترط إنه يدفع كل مصاريفها، يلتزم بكل واجباته مقابل شيء واحد بس.. إن تتحول الحضانة لأمي عشان يضمن العدل في اللقاء وفي المعاملة... حجته لحظتها إني مجنونة غير عقلانية، وهو مش بيثق فيا" (صادق، ٢٠٢٦، ص١٥٣)السلطة الذكورية هنا لا تكتفي بالسيطرة على الجسد في إطار الزواج، بل تمتد لتشمل العلاقات القانونية بعد الطلاق. استخدام تهمة "الجنون" و"عدم العقلانية" كذريعة لسحب حضانة الابنة يكشف عن آلية خطيرة في الخطاب الذكوري: تحويل المرأة إلى "غير كفؤة" لتبرير تجريدها من حقوقها الأساسية. تواطؤ الأم والمحامي والأخ مع هذه الخطة يضاعف من وطأة العنف، محولاً الأسرة بأكملها إلى أداة في منظومة القمع الذكورية.

ثالثاً: العنف المجتمعي ووصمة الطلاق

لا يقتصر العنف في الرواية على الفضاء الأسري، بل يمتد إلى المجتمع بأسره، حيث تتحول وصمة الطلاق إلى أداة فعالة لإعادة إنتاج التراتبية الذكورية وإخضاع المرأة. فالمطلقة في المجتمع المصري، كما تصوره الرواية، تواجه نظرة دونية تجعلها في موقع الدفاع الدائم عن نفسها، وتُحمَّل مسؤولية فشل الزواج وحدها.يقول الكاتب على لسان البطلة وهي تواجه أخيها: "أنت الوريث ابن الملك.. وأنا الأضحية المعلوفة حتى يوم الزواج ليتولاها شخص آخر" (صادق، ٢٠٢٦، ص٥٨). هذا المقطع يلخص جوهر التراتبية الذكورية في المجتمع المصري. البطلة تدرك أن موقعها في الأسرة لم يكن اختيارياً بل مفروضاً عليها منذ الولادة. الابن هو "الوريث" و"ابن الملك"، بينما الابنة هي "الأضحية" التي تنتقل من ملكية الأب إلى ملكية الزوج. هذه الاستعارة الحيوانية (الأضحية) تحمل دلالة عميقة على تجريد الأنثى من إنسانيتها، وتحويلها إلى سلعة قابلة للتبادل والاستهلاك.وفي نص آخر: "وضع خاص عشان جربت؟ ولا عشان مفتوحة؟" (صادق، ٢٠٢٦، ص٦٠). المواجهة المباشرة بين البطلة وأخيها تكشف عن جوهر وصمة الطلاق. الأخ يستخدم تبريرات أخلاقية لإخضاع أخته المطلقة، لكنها تفضح ازدواجية الخطاب الذكوري. السؤال الاستفهامي الذي تطرحه البطلة: "وضع خاص عشان جربت؟ ولا عشان مفتوحة؟" يكشف عن المفارقة الأساسية في المجتمع الذكوري: المرأة إما "عذراء" وإما "مفتوحة"، ولا يوجد وسط بينهما. الطلاق لا يُقرأ كفشل في العلاقة بل كفضيحة أخلاقية تلصق بالمرأة وحدها. "كل الناس عارفة إن المطلقة ليها وضع خاص.. فعشان كده لازم تحاوطي على نفسك" (صادق، ٢٠٢٦، ص٦٠).خطاب الأخ الذي يبدو في ظاهره ناصحاً ومهتماً، يحمل في جوهره تهديداً ضمنياً: المطلقة في خطر، وعليها أن تتصرف وفقاً لذلك. لكن التهديد الحقيقي ليس من الخارج، بل من المجتمع نفسه، ومن الأسرة التي تفترض أنها تحميها. هذا النمط من العنف الرمزي هو الأكثر فاعلية في الرواية لأنه يعمل من الداخل، ويُقنع الضحية بأن الخطر يأتي من تصرفاتها هي لا من النظام الذي يضطهدها.

المبحث الثاني: سرديات العنف النفسي

لا تكتفي رواية "داما" ببناء عالم من العنف المؤسسي، بل تمضي إلى ما هو أعمق وأشد إيلاماً: العنف النفسي الذي يسكن الروح ويُعيد تشكيل علاقة الأنثى بذاتها وبالجسم والزمن. وقد حددت الدراسات النفسية ماهية العنف النفسي بأنه "أمور دقيقة موغلة في الخفاء يمكن اكتسابها بالتعليم تجري مجرى التمويه والخداع تصدر من نفس شريرة من عالم بالعناصر بغير مباشرة أو بالمباشرة" (عبد السلام، ١٩٨٧، ص٣٨). وهذا التحديد يُتيح قراءة ما تبنيه الرواية من منظومة نفسية بوصفها نظاماً معرفياً مُتكاملاً؛ إذ تتكشف في النص آليات التمويه والخداع التي يصفها السكري متجسّدة لا في ممارس العنف الفردي فحسب، بل في بنية الخطاب السلطوي ذاته حين يُوظّف العار والنبذ الاجتماعي أدواتٍ للإخضاع الجماعي وتثبيط الإرادة. وبهذا المعنى يغدو العنف النفسي في الرواية ليس فعلاً فردياً معزولاً بل مناخاً وجودياً شاملاً يُعيد تشكيل علاقة الإنسان بالواقع وبقدرته على تغييره. يتوزع هذا المبحث على ثلاثة محاور متشابكة: الذاكرة المؤلمة، وآليات الانتقام، وسقوط الأقنعة الاجتماعية.

أولاً: الذاكرة المؤلمة وتشظي الذات

تبني الرواية عالماً يتآكل فيه الإنسان من الداخل دون أن تطاله يد ظاهرة؛ الذاكرة المؤلمة ليست مجرد استرجاع للماضي، بل هي وباء نفسي صامت يسري في وعي البطلة، حتى يصير الاستمرار في الوجود مجهوداً يفوق طاقة كثيرين ممن يسكنونها.ومن تمثلات هذا المحور: "عندما تدرك الأنثى قيمتها أمام شيء لا قيمة له" (صادق، ٢٠٢٦، ص١١). هذه العبارة التي ترد في سياق مواجهة البطلة لرجل استغلالي، تلخص جوهر الصدمة النفسية التي تعيشها الشخصيات النسائية في الرواية. الإدراك المتأخر للقيمة الذاتية يأتي بعد فوات الأوان، بعد أن تكون الأنثى قد استنزفت عاطفياً ونفسياً. هذا النمط من العنف النفسي هو الأكثر تدميراً لأنه يعمل على تآكل الثقة بالنفس من الداخل. "أنا مش كويسة.. أنا بموت كل يوم من الوجع.. أنا مش قادرة أستحمل" (صادق، ٢٠٢٦، ص١٩٠). لحظة الانهيار هذه هي من أكثر المشاهد تأثيراً في الرواية. البطلة التي ظلت طوال النص تحاول التماسك والمقاومة، تنهار أخيراً وتعترف بضعفها. لكن هذا الاعتراف ليس استسلاماً، بل هو شرط أساسي للشفاء. المشهد الذي

يحتضنها فيه "صفي" ويشجعها على البكاء هو لحظة تحول في سردية العنف: من العنف كحدث يُمارس ضدها، إلى العنف كحالة يمكن التعبير عنها وتجاوزها. "كان وجهها في المرآة ممتلئاً بالفزع. حين وقف وراءها تجاوزها بخطوات، وراح يفتش عن وجهه في المرآة، ولم يجد إلا زوجته تقف خلفه خائفة كما لو أنها على حافة هاوية سحيقة. شعر لحظتها أنه مجرد شبح لإنسان مات منذ سنين" (صادق، ٢٠٢٦، ص٥٢). هذا المقطع، رغم أنه يصف مشهداً لشخصية ذكورية (العمدة)، إلا أنه يعكس حالة الاغتراب النفسي التي تعيشها شخصيات الرواية جميعاً. المرآة التي يفترض أن تكون أداة للتعرف على الذات، تتحول هنا إلى أداة لتأكيد الغياب والموت الرمزي. جملة "شعر لحظتها أنه مجرد شبح لإنسان مات منذ سنين" تحدد الزمن النفسي للعنف: العنف لم يحدث الآن، بل وقع منذ أمد بعيد، والشخصية لم تنتبه إليه إلا في لحظة انكشاف مفاجئة.

ثانياً: آليات الانتقام وبناء الذات البديلة

تتخذ البطلة من الانتقام وسيلة لاستعادة إنسانيتها، من خلال شخصيتها البديلة "داما" التي تدير صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي لكشف انتهاكات الرجال ضد النساء. هذا التحول من الضحية إلى المنتقمة هو محور أساسي في سردية العنف النفسي.يقول الكاتب: "بلغني أيها الكائن البشري ذو العضو الذكري.. أنك – يا عزيزي– ما زلت تعترض على أسلوب ندائي لك.. كنت أظنك اعتدت– بعد مرور سنة– على تلك التحية مني.. ظلت قروناً من الزمن تستمتع بكلمة «بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد» التي قالتها شهرزاد في أعظم قصص الأدب العربي.. ترضي عوروك وترغب في ساعتها. كل ما فعلته أنني عبرتها قليلاً لتصبح أكثر واقعية لما يناسب حياتنا في عام ٢٠٢٣" (صادق، ٢٠٢٦، ص١٣).هذا النص يمثل بياناً نقدياً صريحاً للخطاب الذكوري. البطلة، من خلال شخصيتها "داما"، تعيد كتابة خطاب شهرزاد، محولة إياه من أداة للإرضاء والإمتاع إلى أداة للمواجهة والمكاشفة. تغيير "الملك السعيد" إلى "الكائن البشري ذي العضو الذكري" هو عمل سيميائي دقيق: نزع القداسة عن الذكر، وإعادة تعريفه بصفته البيولوجية المجردة، وهذا هو جوهر العنف النفسي المعكوس الذي تمارسه البطلة. "أنا كنت هضربه عادي.. ما تفكرش إن طلتك البهية هي اللي فرقت أوي كده" (صادق، ٢٠٢٦، ص٥٠). رفض البطلة الاعتراف بدور "صفي" في إنقاذها من رجل متحرش، يعكس رغبتها في استعادة وكالتها وقدرتها على الدفاع عن نفسها. هذا الموقف يحمل دلالة نفسية عميقة: المرأة التي تعرضت للعنف تحتاج إلى استعادة إحساسها بالقوة، وليس إلى الاعتماد على منقذ ذكوري. هذا هو جوهر بناء الذات البديلة في الرواية. "بلغني أيها الكائن البشري ذو العضو الذكري.. أنك – يا عزيزي– ما زلت تظن أننا نختلف عنك في المشاعر الجنسية.. هل تعلم أننا أيضاً نثار جنسياً مثلك؟" (صادق، ٢٠٢٦، ص١١٣). هذا النص يكشف عن آلية نفسية أخرى: تفكيك الأساطير الذكورية حول الجنس الأنثوي. البطلة، من خلال خطابها، تعيد تعريف العلاقة بين الجنسين، وتكشف عن العنف المعرفي الذي يمارسه المجتمع بقمع الرغبة الأنثوية وتحويلها إلى عيب أو فضيحة.

ثالثاً: سقوط الأقنعة الاجتماعية

تكشف الرواية عن كيفية انهيار الأقنعة الاجتماعية التي تخفي العنف النفسي، وتظهر الوجوه الحقيقية للشخصيات التي تمارس القمع تحت غطاء الأخلاق والمحافظة. "أمي، و(هاني) أخي، والعروسة الباري الجديدة ذات المؤخرة الأكبر من حياتي والـ(اكنتشنن) الذي –من وجهة نظري– بالتأكيد (خفي صلعاً خفياً)، (دينا) زوجة طليقي الحالية. و(عميد خالد) طليقي" (صادق، ٢٠٢٦، ص٧٣).مشهد المواجهة هذا يجمع كل الشخصيات التي تمثل منظومة القمع ضد البطلة في مكان واحد. الأم التي تواطأت مع عمها المتحرش، والأخ الذي يمثل الخطاب الذكوري المتسلط، والطليق وزوجته الجديدة. هذا التجمع المكاني يكشف عن وحدة الجبهة الذكورية والأنثوية (الأم) في مواجهة البطلة، محولاً إياها إلى ضحية وحيدة في مواجهة نظام كامل. "يا بتي أنا في آخر أيامي.. اقدي معايا شوية نواعس بعض" (صادق، ٢٠٢٦، ص١٣٨). خطاب الأم الذي يبدو في ظاهره عاطفياً وحنوناً، يحمل في جوهره استمراراً لعملية الإخضاع النفسي. الأم تستخدم مرضها وعمرها المتقدم كأداة لإخضاع ابنتها، محاولة إشعارها بالذنب لمجرد مقاومتها. البطلة تدرك هذه الآلية، لذا ترد بحسم: "ما بقيتش أخاف يا ماما.. اللي بيخاف ده يا إما بيحترم اللي قدامه يا بيحبه فيبخاف على زعله.. وأنا لا بحبك.. ولا بحترمك" (صادق، ٢٠٢٣، ص١٣٨).هذا الرد يمثل لحظة تحرر البطلة من التزاماتها العاطفية تجاه أمها، وهو شرط أساسي لتحررها من منظومة العنف النفسي التي كانت الأم أحد أركانها. البطلة تدرك أن الحب والاحترام ليسا واجبين، بل هما مشاعر تُمنح لمن يستحقها، والأم التي تخلت عن ابنتها في لحظة حاجتها لا تستحق لا حباً ولا احتراماً.

الخاتمة

تأسيساً على ما تقدم، نخلص إلى أن رواية "داما" لمحمد صادق قدمت نموذجاً سردياً فريداً في أدب العنف العربي، حيث نجح الكاتب في توظيف السرد النفسي والرمزية لتعرية واقع الاستلاب الإنساني وتآكل الهوية أمام آليات القمع المتعددة؛ وقد أثبتت الدراسة أن الرواية تجاوزت الوصف السطحي للعنف لتقدم تشريحاً فلسفياً لآليات العنف المؤسسي والنفسي، مبيّنةً كيف تتحول المؤسسات الاجتماعية (الأسرة، الزواج، المجتمع) إلى

سجن للهوية المهدورة، مما يجعل من هذا العمل الأدبي مرآة نقدية حادة تستشرف مآلات القمع والانهيار القيمي في الواقع المعاصر، وتؤكد في الوقت ذاته على الدور المقاوم للفن والكلمة في مواجهة عوالم القهر والظلم المطلق.تكشف الرواية عن أنماط العنف المتعددة التي تمارس ضد المرأة في المجتمع المصري: العنف الأسري الذي يبدأ من التحرش الجنسي داخل الأسرة، ويمتد إلى العنف الزوجي الذي يسلب المرأة حقوقها الأساسية، وصولاً إلى العنف المجتمعي المتمثل في وصمة الطلاق والنظرة الدونية للمطلقات. غير أن الرواية لا تكتفي بتصوير هذه الأنماط، بل تقدم آليات للمقاومة من خلال شخصية "داما" البديلة، التي تمثل رفض الخضوع واستعادة الوكالة.وتخلص الدراسة إلى أن "داما" ليست مجرد رواية عن العنف، بل هي رواية عن إمكانية التحرر من العنف، من خلال الوعي الذاتي، وكشف الأقنعة الاجتماعية، وبناء هوية بديلة قادرة على المواجهة. البطلة التي تبدأ الرواية كضحية، تنتهي كمنتقمة، وهذا التحول هو جوهر الرسالة النقدية للرواية: العنف لا يمكن هزيمته بالخوف والصمت، بل بالمواجهة والمقاومة.

المصادر

١. إبراهيم أبو طالب وآخرون، مراحل الرواية في اليمن، عناوين بوكس، ط١، ٢٠٢٥.

٢. أحلام بن الشيخ، مشهديات اليستوبيا في رواية جملكية أربيا لواسيني الاعرج، مجلة دراسات أدبية، عدد٦، ٢٠١٨.

٣. أحمد شقير، أصل الحكاية صفحات منسية من التاريخ الحديث، دار المصري للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠.

٤. أسامة محمود البحيري، معجم المصطلحات الأدبية والنقدية، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، مصر، ٢٠٢١.

٥. إنجي خالد أحمد، اليوتوبيا والديستوبيا في رواية أحمد خالد توفيق، دار العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤.

٦. جلال برجس، معزوفة اليوم السابع، دار الشروق، ط١، مصر، ٢٠٢٥.

٧. زينب محمد عبد الحميد، يوتوبيا وديستوبيا الثورة، كتاب 2025 ،inc.

٨. سالم العوكلي، ليبيا وأدب الديستوبيا، موقع الوسط، ٢٠١٩. https://alwasat.ly/news/opinions/238465?author=1

٩. عبد السلام عبد الرحيم السكري، السحر بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي، مطبعة دار الكتب الجامعية الحديثة، ١٩٨٧.

١٠. فاطمة برجكاني، الديستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية العربية المعاصرة: قراءة في رواية أورويل في الضاحية الجنوبية لفوزي ذبيان، مجلة اضواء نقدية في الأدبين العربي والفارسي، عدد٢٩، ٢٠١٨.

١١. فتحي خيرة، مسيردي مصطفى، العجائبية والبعد الديستوبي في الرواية الجزائرية المعاصرة، مجلة النص، مجلد١٠، عدد١، الجزائر، ٢٠٢٣.

١٢. فريدة جمعان القريناوي، تجليات الديستوبيا في الرواية الجزائرية رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح انموذجاً، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، عدد٢، ٢٠٢٣.

١٣. محمود محمد السعيد أبو زهرة، ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق ١٩٦٢–٢٠١٨، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد٣٩، ٢٠٢٠.

١٤. منصف بن خير الدين، محمد بن عسكر، تجليات الديستوبيا في رواية زنقة الطليان لبومدين بلكبير، رسالة ماجستير، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف لميلة، الجزائر، ٢٠٢٤.

١٥. محمد صادق، داما، مؤسسة كتب، ٢٠٢٦.